مقدمـة البحـث

يعتبر "رسل" من عباقرة الفلاسفة الإنجليز لاهتمامه الواضح بـالعقل والمنطـق عنـد الإنسان ، فأخذ يؤلف كتبه ، ويتناول في مقالاته وأبحاثه كل فروع المعرفة والعلم واضعـا نصب عينيه أن الفكر الانساني حر لا محدود وحقا لقد كان رسل نتاج بيئته الاجتماعية التـي عاش وتربي فيها ، ومما يؤكد ذلك اعترافه بـأن الفلاسـفة نتـاج لظروفـهم الاجتماعيـة ولسياسات عصرهم ونظمه، وهم دائما أسباب للأبعاد والمحاور التي تشكل سياسات ونظـم العصور التالية ، وكانت لأسرته اكبر الأثر في تشكيل عقليته وخاصة فيما يتعلـق بالناحيـة الأخلاقية والدينية التربوية مما دعا الباحث للكتابة عن تلك الجوانب لما يتمتع به كل منـها بمكانه خاصة داخل المجتمع عند الإنسـان فتجـد أولاً الأخـلاق (**The Moral**) مـن الموضوعات التي تشغل مكانا كبيرا من اهتمام الإنسان وتستحوذ علي تفكيره ، أو ينبغـي أن تكون كذلك . فالإنسان لا يستطيع أن يستغني عن الأخلاق في أي لحظة من لحظات حياتـه ولا يستطيع أن يستغني عن مثل أعلي في سلوكه ، أو معيار للحكم علـي أخلاقـه وأفعالـه وافعال الناس بالخير أو الشر ولا يمكن أن يتصور الإنسان العيش بلا ضمـير يحاسـبه إذا اخطأ بل وإذا استمر في الخطأ وتمادي في الشر ، والإنسان أيضاً لا يستطيع أن يعيش بـدون قيمة ومن ثم يقال إن الإنسان حيوان أخلاقي .

إن علم الأخلاق لا يحدد للإنسان طريقة تصرفه في كل موقف يعرض لـه ، لكـن يهديه إلي الاتجاه السوي ، ويترك له حرية التصرف وإن قيدها بما يحفظها من الجمـوح ، وهو يزوده أيضا بمهارة فنية مستنيرة تيسر له أن يدرك التصرف السليم ولكن ليس معني أن دراسة الأخلاق تجعل جميع الناس فضلاء ، فهذا أمر يعتمد بدرجة كبيرة علـي الاسـتعداد الشخصي لكل فرد كما هو الحال مثلا في علم التصوف فدراسة التصوف وحدها لا تجعـل من صاحبها متصوفا فذلك أمر يعتمد على ما لديه من استعداد وميل إلى التصـوف وإيمـان راسخ بالله وبقيم الدين والأخلاق إذن كما يقول أرسطو " أن تشد عزم بعض فتيـان كـرام على الثبات في الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة " . (١)

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق - الكويت - دار القلم - ١٩٨٣ صـ ٢٢ .

إن القيم الأخلاقية نفسها لا تتغير ، وإنما الذي يتغير هو إدراكنا لها أو نفاذ بصيرتنا اليها وموضوع الأخلاق عند رسل من الموضوعات التي نالت منه حيزاً كبيراً في كتبه ومقالاته حيث ألف كتاب " المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة " أوضح لنا فيه رأيه في الأخلاق التقليدية وما يجب أن نفعله تجاهها وبين لنا مصادر الأخلاق وقواعد السلوك الأخلاقي والإلزام الخلقي والأخلاق الفردية والاجتماعية والصواب والخطأ وتحدث أيضاً عن السعادة وخصص كتابا فيها أسماه " الوصول إلى السعادة " ، كأن السعادة عنده مملكة غالية بعيدة المنال وعلينا البحث عنها .

فالإنسان محاط قبل كل شيء بعقبات تحول دون السعادة ، بعضها من صنعه ، وبعضها من صنع المجتمع ، أو من ظروف يمكن أن نسميها المقادير ، والحظوظ ، وعلينا أن نتعلم كيف نتحاشى هذه الأسباب جميعاً .

لذلك كان موضوع الأخلاق والدين عند "رسل" من الموضوعات الحيوية ذات المكانة في المجتمع والتي حاول الباحث أن يتعرف على كل منهما عنده ، أما الدين عند رسل فقد افرد له كتابا أطلق عليه " الدين والعلم " وتحدث عنه في بعض أبحاثه ودراساته ، ومما دعا الباحث أيضا إلى الكتابة عن الدين إنه يعد اشد تعقيداً من العلم من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والتربوية ، وهو أسبق من الناحية التاريخية .

وبما ان للدين أهمية بارزة وكبيرة في حياة "رسل" أراد أن يكشف من خلاله عن بعض الأخطاء في الدين التقليدي أكثر من كشفه عن حقيقة الدين وجوهره .

واستند الباحث في دراسته للمنهج التحليلي التاريخي ، في تحليل ثقافة عصر "رسل" وحاول أن يردها إلى العناصر الأولية الأساسية وقد برع في هذا براعة قل أن نجد لها نظيراً في وقتنا الحاضر ، وقد حرص الباحث على دراسة هذه الشخصية من الجانب الأخلاقي والديني . ومعرفة رأي "رسل" في الدين والأخلاق لأن الدين عنده مرتبط ارتباطا وثيقا وشديدا بالناحية الأخلاقية . ولما للدين من أهمية كبيرة لأنه عندما أراد أن يتزوج من إحدى الفتيات كانت المناقشات تدور حول المسائل الدينية أو كانت تطفو على فكره من حين لآخر وهذا دليل على أن الدين كان له دور واضح في حياة "رسل" والرؤية الدينية عنده أثرت بشكل واضح على حياته السياسية والاجتماعية ، فقد رفض ترشيحه كنائب عن حزب الأحرار بسبب آرائه الدينية المتحررة نوعا ما .

وحاول أن يرفض الأديان التقليدية ولكنه استبقى الجانب الأخلاقي في هذه الأديان ورؤيته في ذلك أن الإنسان يمكن أن يتمسك بهذا الجانب الأخلاقي دون الحاجة للجانب الميتافيزيقي الذي يستند إليه الدين واستبقى من المسيحية ثلاث عناصر رئيسية هي بالدرجة الأولى أخلاقية وهي : العبادة ، والخضوع ، والحب . ولذلك حاول "رسل" أن يستبقي الجانب الأخلاقي للدين .

وما زال "رسل" يحدثنا عن الأخلاق ونظامها عنده حيث يقول " لابد لنا أن نعترف بوجود عنصرين متميزين في التفوق البشري أحدهما اجتماعي والآخر انفرادي ، فأي نظام أخلاقي يدخل في اعتباره أحدهما دون الآخر يكون غير كامل وغير مرضي " .

ويقول "رسل" أيضا عن الأخلاق " إنها لا تعني فقط بواجبي نحو جاري مهما نبلغ من الصواب في تصورنا لمثل ذلك الواجب ، فأداء الواجب نحو الناس ليس هو كل ما تتطلبه الحياة الصالحة ، بل هنالك أيضا متابعة الإنسان للسمو بنفسه ، وذلك لأن الإنسان لن يكون اجتماعيا إلى حد ما ، فليس هو بالاجتماعي إلى كل حد ، فله أفكاره ومشاعره ، ودوافعه التي قد تكون متصفة بالحكمة أو بالحمق أو بالسمو أو مليئة بالحب ، أو ملتهبة بالكراهية ، ولابد للجانب الأصلح من هذه الأفكار والمشاعر والدوافع من مجال إذا أريد لحياة الإنسان أن تحتمل لأنه إن يكن قليل من الناس هم الذين يستطيعون أن يسعدوا بالعزلة ، فأقل منهم أولئك الذين بمكنهم أن يسعدوا في مجتمع لا يسمح للفرد بحرية نشاطه " .[1]

والاختلاف على مسألة الأخلاق مسألة تذوق ويفسر هذا التذوق على أنه اتجاه أو وضع سيكولوجي أو رغبة يقول "رسل" " إن الحكم الأخلاقي تعبير عن الرغبة والحكم الأخلاقي الذي له قيمة في حد ذاته هو الحكم الذي يبدي رغبة تنقل رغبة الناس ، مثلما أقول الكراهية شر فإني أعبر عن تمنياتي لو أن أحدا لا يكره أحد ولقد كان الخلاف دائما حول الأحكام الخلقية في الواقع خلاف حول الوسائل وليس الغايات " .[2]

إذن "رسل" يربط الفعل الخلقي بالرغبة وهذا يبين دور الرغبة في الفعل الأخلاقي الذي يتضح من خلال البحث ويقارن "رسل" الأخلاق بالعلم حيث أن الأخلاق لا يمكن أن تكون

---

[1] د. زكي نجيب محمود : رسل نوابغ الفكر الغربي – القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٢ صـ ١٧٣ .

[2] د. أحمد الصادق: الأخلاق عند رسل – طنطا – دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع- ٢٠٠٠ ص ١٧

علمية كما يذهب لأن مجال القيم يقع خارج نطاق العلم إلا من حيث أن العلم سعى وراء المعرفة وإلا فيجب ألا يفرض نفسه على مجال القيم .

وتحدث أيضا عن الحرية ودورها في الدين والأخلاق لأن حرية الفرد الأخلاقية هي أساس كل تقدم اجتماعي لكنه لابد من تقدير العوامل الداخلية والخارجية التي تؤدي إلى نشأة الضمير الأخلاقي ومن العمل على تحقيق التوازن بين هذه العوامل حتى لا يطغى المجتمع من جانب فيمحو شخصية الفرد ، وحتى لا يغلو الفرد في عزلته حتى لا يحرم نفسه من مزايا الحياة الاجتماعية .

" إن الأخلاق ولغتها تقع خارج نطاق العلم من حيث أن اللغة التي تستخدمها الأخلاق هي لغة تصف رغبات " .(١)

"ورسل" استخدم الرغبات مكان المشاعر فعندما يقول فرد " هذا صالح في حد ذاته فهو يعني أن كل فرد يرغب هذا الشيء الصالح وهذا دليل على أن الأخلاق تقوم على الرغبة .

نجد إذن فلسفة "رسل" هي بحق مرآة تعكس واقع الحياة في ذلك العصر الذي كان يعيش فيه

وقد قسم الباحث هذا البحث إلى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : " دور الواقع الاجتماعي وأثره على الفكر الديني والأخلاقي عند رسل "

وفي هذا الفصل قام الباحث بتوضيح صورة المجتمع الإنجليزي قبل "رسل" وميلاده ، وتألقه العلمي ، وتأثره بحياة الأسرة ، وأثر البيئة ، وموقفه من الدين والفلسفة ، وعلاقة العلم بالفلسفة ، وأثر بعض الفلاسفة على فكره .

الفصل الثاني : " أثر المنهج التحليلي على الدين والأخلاق عند رسل " .

في هذا الفصل تناول الباحث كلمة منهج واستخدامها ، ونوع المنهج الذي استخدمه رسل ، وخصائص الفلسفة التحليلية في ذلك الوقت ، وموقف "رسل" من الاستقراء ، وعلاقة الأخلاق بالدين وأخلاق الخطيئة .

---

(١) وليام ليلى : المدخل إلى علم الأخلاق - ترجمة وتعليق وتقديم / د. علي عبد المعطي - الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية - ١٩٩٩ صـ ٤٧١ .

الفصل الثالث : " جوهر العقيدة الدينية عند رسل "

وفي هذا الفصل قام الباحث بإعطاء فكرة عن الدين قبل "رسل" ، وما هي علاقة الدين بالعقيدة ، وأهم قواعد العقيدة وأركانها ، ودور الغريزة والروح في الدين ، وكذلك دور الدين في التربية وعلاقة الدين بالعلم والحرية .

الفصل الرابع : " موقف رسل من الإيمان بوجود الله " .

وفي هذا الفصل قام الباحث بإعطاء نبذة عن مفهوم الله قبل "رسل" عند بعض الفلاسفة الإنجليز ، ورأي رسل نفسه فيها ، ورفضه للبراهين السابق ذكرها ، وكذلك التصوف عنده ، ثم قام الباحث بعرض الإجابة عن السؤال الذي سأله "رسل" وهو " هل الإيمان الديني علاج لمشاكلنا ؟ " ، وبعد ذلك تحدث الباحث عن الحياة السعيدة عند رسل .

الفصل الخامس : " الإلزام الخلقي عند رسل " .

وفي هذا الفصل تعرض الباحث لمعنى كلمة إلزام خلقي ، ودور الضمير في الإلزام ، والتصرف الصائب أخلاقيا ، والسلطة والجزاء في الأخلاق ، والجزاء الأخلاقي .

الفصل السادس : " قواعد السلوك الأخلاقي " .

وفي هذا الفصل تحدث الباحث عن مصادر الأخلاق عند رسل ، وأهم القواعد الأخلاقية ، وما هو المرغوب فيه أخلاقيا عند رسل ؟ ، ودور الضمير في القواعد الأخلاقية ، والصواب والخطأ في الأخلاق .

الفصل السابع : " علاقة الأخلاق بالسعادة عند رسل " .

وفي هذا الفصل تناول الباحث معنى السعادة ، والسعادة قبل "رسل" ، وأسباب شقاء الإنسان ، وهل السعادة لم تزل ممكنة ؟ ، وأهم أسباب السعادة ، وعلاقة السعادة بالعلم .